**باريس- عالية ممدوح**

ظاهرة جميلة بدأت منذ زمن تشغل ذهن وبال بعض الفنانين العراقيين - 1 - والعرب هنا في باريس أو هناك في بيروت أو مصر أو.. أو، هي ما يسميه الفنان العراقي هيمت محمد علي - كتاب الكتب - تأليفا وتصميما.. أظن هو امر شديد الحيوية لتجميع، تأطير وتوثيق، وتدوين مراحل من حياة الفنان. هيمت يقول هي العشرون عاما الأخيرة. جمع لوحات الفنان وفي مراحل حياته منذ.. هذا الكتاب الذي يوظف فيه الفنان براعته في التصميم والاخراج. شاهدت في مرسمه الجهود المبذولة وهو يفرش كل شيء على مساحة من الأمتار لكي يظهر الكتاب في تعريف جديد يضاف للقب الفنان؛ المؤلف. تصورت وأنا اشاهد بعض مخطوطاته في الاستديو الجديد الذي انتقل إليه ويقع في الحي الخامس عشر وقريب من مكان سكناي. لقد انتظر هيمت هذا المرسم سنوات طويلة فالطابور هائل حتى جاء الفرج والفرح فدعاني لزيارته. إنني أمام ثمار جديدة توصل إليها الفنان / البستاني، وبهذه الطريقة وغيرها لكي يقدم صيرورة ذاته في أثناء اشتغالها والتهابها ووعيها.

وقفنا أمام البناية، تصورتها من المباني السكنية العادية التي تُرك اصلاحها وترميمها أو تُركت هكذا على الأقل من الخارج لكي لا أحد يحسد القاطنين داخلها، فاحتفظت بعراقة هندستها الأولى. ابتسم هيمت ابتسامته الحيية وهو يقول:

- أي هنا. هنا مجمع الفنانين.

اخرج المفتاح وفتح الباب فاطلق صرير فنيا، فصحت واواووو. غابة فردوسية فتانة من الأشجار الضليلة. قلت له:

- هذه أشجار ذكية، أعني أذكى من الأشجار المجاورة للبناية التي اسكن فيها، ضحكنا.

2

البناء في الداخل جد حميمي، أليف كأنني جئته من قبل وشديد الهدوء. لم أر فنانا أو فنانة في مواجهتي فالوقت هو الاجازات. في الطابق الأخير كان مرسم هيمت. ما ان فتح بابه حتى هبت روائح الاحبار والألوان، الورق وعبق الزعتر البري والنرجس الفواح، ورائحة الفنان وهو قد نشر أشغاله على الحيطان أمامي، ورائي، وفي أعلى السقف. جداريات ومنمنمات وألوان تخطف الابصار، واشكال تتدلى فيدفع بها بعض الهواء الساخن القادم من الشبابيك المفتوحة على الغابة الكثيفة والتي تطوق المرسم ومن جميع الجهات. كنا في شهر آب اللهاب وباريس حارة أيضا والمروحة تحرك الحرارة. قلت له:

* ماذا تعني بكتاب الكتب فالتسمية تنقلني وتضعني على مشارف ومساحات شاسعة من حياتك. أليس هذا صحيحا؟

فتح أمامي كتابا مستطيلا بتصميم أخاذ وبدأنا نورق الصفحات وهو يتحدث:

- كتاب الكتب، نقدر على القول هو شغل على مجموعة كتب فنية في كتاب واحد. اشتغلت وطوال عشرين عاما، وفي هذا الذي الكتاب وضعت بعضه كلوحات أو مخطوطات، والقسم الآخر نصوص من الشعراء الذين دونوا قصائدهم فرسمت أنا مجاور لهم فتداخل الحبر بالحبر. ولهذا اطلقت عليه هذا الاسم. هو بمعنى من المعاني توثيق لمجموعة كتب عبر عشرين عاما ولقد صدر هذا الكتاب أولا عن دار النشر الفرنسية: Carnets Livre. لقد أخذت من مقدمة ادونيس مقطعا أيضا.

* ما أهمية هذا الكتاب لك؟

- إجرائيا، اللوحة تغادرني في أكثر الأحيان. تذهب إلى من يقتنيها. قلبي ينخطف وأنا أبيع إحدى اللوحات. أنت كاتبة تؤلفين كتبا، تبقى هي كتبك وباسمك وسوف يبقى الكتاب في حوزتك. اللوحة أمرها مختلف فهي تغادرني وأنا الهث وراءها فأرسم غيرها وغيرها وهكذا.

3

* هل تعني أن عمل الكتاب، أو الكتب تضاعفت لديك منذ تعارفنا حتى اليوم، فهل صارت الكتب تنافس اللوحة؟

- عمل الكتاب اتصوره كنوع من رافعة لمعنوياتي، كمذكرات يومية اشتغل ثم أحاول ان يتحول الكتاب هو أيضا إلى لوحة فنية زائد اللوحة الفنية التي يوثق لها وتترك الفراغ من حولها. الفراغ في الكتب شيء فاتن جدا وفي الوسط لوحة.

* كم ساعة تشتغل في هذا أو هذه المشاريع فهي تتضاعف كما أشاهد؟

- اشتغل بشكل يومي ودائما.

وكم استغرق العمل بهذا الكتاب؟ *

- الأعمال الداخلية استغرقت عمري والحالي المطروح منه عشرون سنة صورتها ووضعتها في هذا الكتاب الغالي علي جدا.

في كثير من الأحيان يبدو لي عمله كعمل مباشر حميمي، كما في الكراس حول الفنان المعلم والصوفي شاكر حسن آل سعيد:

- انظري إلى اسمه، هو بمعنى ما تشكيل فني تام. اصدرت الكراس / الكتاب وضمنته بعضاً من أجمل لوحاته بالأسود والأبيض. ونص أسر من الكاتب فريد الزاهي يقول فيه عن هذه العلاقة التي تشكلت بين آل سعيد وهيمت فيصفها:

"ان هيمت على غرار الشعراء، يختار تكريم الإبداع من خلال الشخص. إنه يترك لذاكرته الشابة الإفصاح عن مسار ووجهة الرفقة الفنية، والحضور الثاوي وراء الغياب. فالأمر هنا يتعلق بامتلاك رمزي لصداقة نشطة عليها ينهض كل تواطؤ فني خلاق".

4

لكن هيمت يكتب خطابا وتحية له، لأجمل التشكليين العراقيين؛ شاكر حسن آل سعيد، يضمنه هذا الكتاب قائلا: "في لقاءاتنا كنت تحدثني عن السهرودري القتيل وعبد القادر الجيلاني، الحلاج وابن عربي وعن الأوفاق والبلد الواحد. كنت لا أفهم كل ما تقول إلا بعد وقت طويل، وكنت تحدثني عن ماتيو وميرو وتابيس، نعم تابيس. وكنت أشعر بأن حديثك عن الجماعتين هو أشبه بحديثك عن الدنيا والآخرة، وعن الظاهر والباطن، أو عن الحضور والغياب. وكنت أشعر أحيانا بأنك تريد ان تصنع منهما مزيجا منسجما". هيمت محمد علي فنان وصديق وفي. اتصوره يضبط طريقة رسمه بمنح هذه المفردة الوفاء - وبوجه خاص دلالة اسلوبية تبزغ وتتطور فتصل إلى لسانها الخاص، وإذا كان يتلعثم بعض الشيء كما بعضنا وهو يتحدث عن فنه وشغله وبصوته الخفيض، فلأن ذلك يكشف عن حيائه كموقف فني واخلاقي في الوقت نفسه. كتابه الآخر وهو لادونيس واسمه: الليل، ذلك الفجر الآخر. يقول:

- أظن هذا من أجمل الكتب في رأيي. دَون ادونيس نصه الشعري بخط يده وأنت تعلمين خطه لوحة تامة وناجزة. أنا الذي طلبت منه ان يكتب القصائد بخط اليد، وأظن هناك علاقة جدلية وحيوية روحية وصوفية بين الخط والرسم وبالتالي الشعر. فظهر كتاب خاص بقصائد ادونيس ورسومي. اشتغلت عليه بطريقة أقرب ما تكون إلى قصديته، وكأن بيننا ديالوغ خفي ما بين الريشة والقلم: "حسنا سأخرج من وحدتي لكن (إلى أين)

- أشجار قريتنا شاعرات يغمسن أحلامهن في محابر الفضاء".

يواصل هيمت قائلا:

- كما هناك كتاب آخر اسمه (بغداد على السريع) اشتغلت فيه مع الشاعر الفرنسي اندريه فلتير. وله قصة. في العام 1998 اشتغلنا على عمل معرض ثنائي على ان يعرض في بغداد. عملنا مجموعة كتبت وعرضت في القصر العباسي. لقد عملت اكثر من ثلاثين عملا مع هذا الشاعر. أنا ارسم وهو يؤلف القصائد.

- 5 -

هيمت لم يحضر المعرض هذا فقد كان خارج العراق، لم يسمح له بزيارة بلده بسبب الظروف السياسية فذهب الشاعر ولوحده. لقد طلب الرسام من الشاعر ان يدون يومياته في أثناء الرحلة إلى بغداد. فكتب كتابا - بغداد على السريع - وطبعته دار غاليمار الشهيرة. لقد مكث ثلاثة أيام فقط. وتحدث عن الرحلة وقام بزيارة أهل الرسام. صدر الكتاب الذي ضم رحلات الشاعر الى بلاد الله الواسعة وبضمنها رحلة بغداد. يقول هيمت بحزن:

- عندما قرأت الخمس عشرة صفحة من الكتاب عن بغداد ترقرقت الدموع في عيني. لهذا الكتاب مكانة خاصة جدا وحميمة لأنه يحتوي على أشياء وذكريات وله علاقة بأهلي وبلدي الذي حرمت من زيارته. حين بدأ بقراءة قصائده في بغداد كانت القاعة ممتلئة بالمسؤولين وعلى رأسهم وزير الثقافة. حين عاد الشاعر والتقى بالفنان هيمت اخبره قائلا:

- كنت أقرأ القصائد لعائلتك التي جاءت وجلست في المقاعد الخلفية. دعوتهم فحضروا بثيابهم التقليدية الكردية ذات الألوان الزاهية. أنا ادري انهم لم يفهموا كلمة واحدة من اللغة الفرنسية، لكنني بقيت احدس انهم يعرفون ماذا كنت اقول لهم بالضبط، وهيمت ولدهم غائب.

Like 0 Share 0 Send